

¹ انظر:- مؤسسة النبراس : الحوار اسسه ومقوماته :سلسلة مفاهيم فكرية رقم () () () .)

في عملية التغيير الديمقراطي. ورفض الفلسفة الاحادية، وتغيير رؤى المؤسسات الاجتماعية واسياسية، ورفع وعي الجمهور لخلق الشخصية الايجابية التي تؤمن وتحترم الرأي الآخر، واشاعة ثقافة الحوار. وان بلوغ ذلك يستدعي عملاً دؤوباً وبجدية في تقويض الفلسفة الاحادية وسياسة دعم الافواه. والمساهمة في عملية التغيير الاجتماعي من خلال العمية التربوية والتعليمية من ناحية، والتأثير في العملية الاتصالية بالترويج لخطاب اعلامي ديمقراطي يتأتى عن الاخيرة الخاصة لكل طيف من أطراف المجتمع. ويصنع مصلحة الوطن والواطن في المقام الاول، ويركز على الثواسم المشتركة بين الجميع من ناحية أخرى.

وبالتالي يسهم كل ذلك بترسيخ ثقافة الحوار واحترام الآخر، لتذلل كل الاطراف، ويروج من التعاون والتآزر؛ افضل ما يوسعها للعبور بالطن والمواطن الى شاطئ الامان. فمن خلال الحوار يتم تقرير المصالح العليا للمجتمع، والتفاعل بعقلانية مع المهمات الكبرى التي قد تشكل، اذا ماتم وأد ثقافة الحوار، او تم اعتماد الفلسفة الاحادية؛ اخطاراً تحق بالمجتمع والدولة.

ان الفرضية التي يحاول البحث اثباتها: ان للجامعات (اساتذة، باحثون، طلبة) دوراً فاعلاً في عملية التغيير الديمقراطي بوأد الفلسفة الاحادية وشيوع ثقافة الحوار واحترام الآخر. ولاثبات تلك الفرضية ينصرف البحث اولاً الى تحديد مدلولات الحوار وثقافة الحوار ثم دور الجامعات باشاعة ثقافة الحوار ثانياً. والوسائل والاساليب التي يستدعي ان تضطلع بها الجامعة في ترسيخ ثقافة حوار ثالثاً.

- الحوار وثقافة الحوار :-

الحوار تعبير عن الحالة الفكرية والحضارية لاي مجتمع فمعه تختصر الكثير من المسافات وتتقارب الافكار وتتحد احياناً - فهو ليس مجرد حديث يتبادل ولكن علاقة جدلية بين طرفين -- وهو قديم قدم البشرية. وهو اسلوب الانبياء ورسالاتهم السماوية. وله القدح المعلى في بلوغ الاهداف. فقبل ان يجيب سيدنا يوسف ()

² انظر: حسن حنفي "الثقافات صراع ام حوار ؟ نموذجان بديلان" في : "فخري لبيب : صراع

الحضارات ام حوار الثقافات (مطبوعات التضامن (القاهرة : □ □) : .

³ القرآن الكريم : سورة يوسف : الاية (٣٨) .

على تأويل ماطلبه "صاحبي كما نزلت سورة المجادلة" قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله والله يسمع تحاوركما".

والحوار كما يرى د. حامد ربيع : تعني تبادل وجهات النظر، بقصد الوصول الى حد ادنى من التقابل حول المفاهيم والحركات المشتركة . وهو في التقاليد الاوربية يعني تبادل الافكار والآراء . وهو اسلوب منطقي للبحث عن الحقيقة . كما انه نمط من انماط التفاوض ولكنه ليس مرادفاً . بل هو ظاهرة اكثر اتساعا واكثر تمييزاً .

ان كل ماتقدم يؤكد ايلاء هذا الاسلوب في عمليات الاقتناع والاقتناع ومجمل عمليات التغيير الاجتماعي . وعلى الرغم من اهمية الحوار وثقافة الحوار في حياة المجتمعات وتطورها العلمي والحضاري، الا ان بلدان العالم الثالث ومنها العراق عانت كثيراً من الفلسفة الاحادية في الرأي والعقيدة، كمخرجات لعملية الاستعمار الغربي من جهة، وعمليات التنشئة الاجتماعية في المجتمعات المختلفة من جهة أخرى . فقد حطمت الهجمة الاستعمارية لعموم بلدان العالم الثالث؛ الاطر الاجتماعية والثقافية والاقتصادية . واحلت مناهج تعليم وانماط من التربية تجعل من المستعمر "الانا" المتقدم وصاحب العلم والحضارة . "والآخر" شعوب العالم الثالث المتخلف والمتلقي للثقافة والحضارة . وبالتالي التابع، واشاعة الشخصية السلبية المتلقية البعيدة عن ثقافة الحوار، هذا من ناحية .

ومن ناحية اخرى جرت عمليات التنشئة التربوية في البلدان المتخلفة وفق اسلوب القمع الذي يمارسه الاب او الام في البيت . وفضلاً عن الاسرة عكفت الجماعات المرجعية الاخرى "المدرسة" والمؤسسات الاجتماعية الجمعية، المجلة، النقابة والحزب .. الخ، على ذات الاسلوب وبالتالي جانبت ثقافة الحوار، واعتمدت التعصب والتعننت ، وشاع فيها الجدل العقيم الذي يقطع الطريق على كل فعل ايجابي وبالتالي قيم الآخر والشعور . ولا مكان لأي فكر يختلف عن ما يحمله القائمون على مواقع القوة في المجتمع والذين يتسمون سدة الحكم فيه .

⁴ القرآن الكريم : سورة المجادلة الآية (١) .

⁵ انظر: د. حامد ربيع: الحوار العربي الاوربي، ومنطق التعامل الدولي الاقليمي : (معهد البحوث والدراسات العربية ، بغداد ، ١٩٨٣) ص ١٩-٢٠ .

⁶ الجدل - جدولاً للشئ ، صلب وقوي . والجدل هو الشدة . وجداله (خاصمه) . والاسم الجدل وهو شدة الخصومة انظر في ذلك : المنجد في اللغة والاعلام ، دار المشرق ، بيروت ، ٢٠٠٠ ، ط ٣٨ ص ٨٢ .

⁷ قارن مع : الحوار اسسه ومقوماته ، م . س . د . ، ص ٥ .

وتفترض ظاهرة الحوار احلال لغة الاقتناع والافتناع موضع لغة العنف والاكراه ولو من قبيل التظاهر والاصطناع . ويترتب على ذلك جملة نتائج :

- توازن (حتى وان كان نسبي) بين طرفي الحوار
 - ان كلا الطرفين يملك نظرة محددة اساسها احترام الطرف الآخر .
 - ايمان كل طرف بأن خصائصه وإمكاناته تتكامل مع خصائص وقدرات ومصالح الطرف الآخر .
 - ان مفهوم التنافس لاموضع له او على الاقل محدود الفاعلية .
- وازاء ماتقدم فإن ثقافة الحوار تستدعي خلق الجو الهادئ للتفكير المستقل بعيدا عن التشنج ، ورفض الفكر المقابل ، ويعكسه سيجد المرء انه استسلم لاشعوريا لذلك الجو ، وبالتالي يفقد استقلاليته في التفكير ، ليفقد بعد ذلك شخصيته ويكون ظلا لغيره^(١) . فالحوار الهادئ يسهم في جاوز الصعاب والمشكلات، خصوصاً التراكمات المكبوتة التي خلقتها اثار التركة الاستعمارية الثقيلة والسنون العجاف التي تليتها^(٢) .
- وتأسيسا على كل ذلك، تستدعي ثقافة نبذ الحوار الصراع واعتماد اللاعنف واللين والنوايا الحسنة التي تقرب الافكار "ادفع بالتي هي احسن فأذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم" وبالتالي تؤسس ثقافة الحوار لتلاحق الافكار وتعزز بلوغ الاهداف المتوخاة دون تشنج . وتدعو للتسامح واحترام الآخر والتآزر والتعاون معه، وتقيم تقاليد راسخة لبناء مستقبل مزهر .

"- الجامعات وثقافة الحوار :

ان الدور الذي تضطلع به الجامعة، كمؤسسة معنوية؛ يتم عبر (الاستاذ الباحث، الطالب) كادوات رئيسة لعملية التغيير الديمقراطي التي تسهم في ترسيخ ثقافة الحوار . والتي تتسجم مع تعدد اطياف المجتمع من جهة، ووسائل الاعلام من جهة أخرى، لخلق التلاحم والتآزر بين اطياف المجتمع مهما اختلفت الرؤى، وصهر النسيج الاجتماعي في بوتقة الفعل الوطني من اجل البناء . فالاستاذ - الدور الاوسع

⁸ انظر وقارن مع : د. حامد ربيع، المصدر السابق ص ٢٤ .

⁹ الحوار اسسه ومقوماته ، المصدر السابق ص ١٠-١١

¹⁰ انظر بحثنا : نحو سياسة وطنية للاعلام (من المركزية الى التعددية المسؤولة) الراصد العراقي العدد (٦) ايار ٢٠٠٩ ص ١٩-٢١ .

¹¹ انظر : الحوار اسسه ومقوماته ، المصدر السابق ص ١٤-١٥ .

¹² القرآن الكريم ، سورة فصلت ، الايات ٣٣-٣٥ .

للمختصين بالعلوم الانسانية- لايتحدد دوره من خلال المحاضرات حسب، بل والبحوث الاكاديمية التي تنشر في المجالات العملية او غير الانترنت وكذلك المقابلات التلفازية والاذاعية، والبحوث والمدخلات في الندوات والمؤتمرات . سواء في المؤسسات العلمية او الجمعيات ومؤسسات المجتمع المدني وغيرها . والتي يتم التركيز فيها على جدوى واهمية الحوار واحترام الآخر والتكامل معه من اجل خدمة الوطن والمواطن، والتنبيه الى خطورة الفلسفة الاحادية؛ التي تنفي الآخر وتهدر العديد من الطاقات وابعادها عن عملية التفاعل على طريق اعمار المجتمع .

هذا فضلا عن دور الباحث في مراكز البحوث من خلال البحث والمشاركة في الندوات ، والاستشارات ، المشاريع المشتركة . ناهيك عن دوره في وسائل الاتصال المقروءة والمسموعة والمرئية، والاشتراك في المعارض والمهرجانات الشعبية للترويج لثقافة الحوار واهميتها في دمل جراح مجتمع يريد ان ينهض . اما الطالب الجامعي فيعد الاداة الاساس في نشر ثقافة الحوار يحكم الانتشار الواسع للطبلة بين عوائلهم بالريف والمدينة من جهة وبين اطياف المجتمع فضلا عن مؤسسات المجتمع المدني والاندية الرياضية من جهة اخرى ودوره الرئيس في التنقيف، وصلة الوصل بين الجامعة والمجتمع . فمن خلال الطالب الجامعي تنتقل القيم والممارسات الى الاخوة والاقارب والاصدقاء في الشرائح الاجتماعية في الجبال والاهوار والمدن والارياف . فهو المستقبل والمرسل في آن واحد . وبالتالي يضحى (المدة) لتلك الثقافة ("اداتها" "غايتها" . فهو المتلقي لثقافة الحوار وهو اداة ايصالها الى مختلف شرائح المجتمع واطيافه؛ من خلال المواجهي" . كما انه غاية ثقافة الحوار ، لان الطلب قادة المستقبل، وركيزة بناء العراق الجديد، ولارساء دعائم التنمية والبناء لمستقبل مشرق .

ازاء ماتقدم يستدعي ان تجند الجامعات ومراكز البحوث جل طاقاتها للتأثير بمدخلات العملية الاتصالية؛ من خلال الطالب داخل اروقته ومن خلال دورها في وسائل الاعلام (المقابلات التلفازية والاذاعية للاساتذة والباحثين والمؤثرات والندوات

¹³ انظر : بحثنا: نحو سياسة وطنية للاعلام ، المصدر السابق ص ٣٧-٣٩ .

العلمية والجماهيرية، المعارض، الندوات، اللقاءات والمحاضرات في مؤسسات المجتمع المدني) ويتم كل ذلك عبر التأثير في¹⁴:

- رؤى وقيم صناع القرار وصناع الرأي والمسؤولين في مؤسسات المجتمع المدني والشخصيات من ذوي الهيبة الاجتماعية (رجال الدين، شيوخ العشائر، قادة تجمعات الشباب والنساء والعمال والفلاحين..) لبث وترسيخ ثقافة الحوار، واعتمادها كبرامج عمل يومية.

- رفع وعي المستقبل (الطلبة، الشرائح الاجتماعية، الجمعيات..)

بجدوى وأهمية ثقافة الحوار. ونبذ ما درجوا عليه من سيادة الرأي الواحد. وما جلبت تلك الثقافة (الاجادية في الرأي والعقيدة) على البلد من مآسي وأخطار، ليكون ديدن الجميع التعاون بتلاقح الافكار من خلال الحوار ليبذل كل منهم ما بوسعه من اجل البناء المشترك لآعمار البلاد وتقدمها فيد الله مع الجماعة.

ولاجله تتم علميات التأثير هذه من خلال دور الاستاذ الجامعي ودور الباحث في مراكز البحوث، انطلاقاً من موجه رئيس (الجمعة) بوصفها قاعدة للفكر النير، وراعية لمدخلات العملية الثقافية في زيادة وعي المواطنين (بكافة أطرافهم) وهو ما يستدعي ان تعتمد تلك المؤسسة وعبر العمليتين التدريسية والبحثية الى تأكيد قيم البناء الجديد، وتسهم في ارساء سياسة اعلامية تعددية ديمقراطية مسؤولة تعزز¹⁵:

- قيم المواطنة الحققة: يعد (حب العراق) القيمة الاساس التي يؤمن بها الاستاذ والباحث والطالب، وان تكون ديدن عملهم بعيدا عن الطائفية والفئوية.
- (الآخر) ايا كان مشربه او عقيدته او انتمائه هو ايضا ابناً باراً للعراق، يشارك بعملية البناء والاعمار. وتقع مسؤولية "الانا" "الآخر" على حد سواء في عملية التغيير، كجزء من مخرجات ثقافة الحوار؛ من اجل العبور بالوطن والمواطن الى شاطئ السلام¹⁶.

¹⁴ انظر: بحثنا: دور التعليم العالي في ارساء رؤية وطنية للاعلام: في نحو دور فعال للتعليم العالي لاعادة الاعمار والبناء في المرحلة الراهنة: وقائع المؤتمر العلمي السنوي الثاني: كلية العلوم السياسية، جامعة النهرين - ك ٢ / ٢٠٠٩ / ٢٠٠٩، ٧٩-٨٠.

¹⁵ المصدر نفسه / ص ٧٨ - ٧٩.

¹⁶ انظر: بحثنا: نحو سياسة وطنية للاعلام (من المركزية الى التعددية المسؤولة)، المصدر السابق ص ٤٢ - ٤٤.

- قيم البناء الجديد " الديمقراطية ، العدالة، دولة القانون " فهي مسؤولية الانا والآخر ، ومخرجاتها تصب في خدمة المجتمع برمته مهما تعددت اطيافه .
- قيم الابداع "التفاني وحب العمل " للنهوض بالواقع المتردي، كي يقف العراق بكل ابنائه ، كما وقف دائماً كنخيلة الباسقات ضد عوادي الزمن . وان شعبه المعطاء بكل مكوناته لم ينحني امام اي ظرف طارئ واي غاز طامع .
- صهر النشاط الانساني (لكل الاطياف) في بوتقة الفعل الوطني ، فبناء حضارات الماضي، والدفاع عن الوطن على مر العصور ، كلها جاءت لتتوحد لتطافر جهود العراقيين بكافة اطيافهم .
- اشاعة وترصين دور الرقابة ، كمسؤولية اخلاقية من اجل بناء الوطن . فلافضل لحد على آخر . وليس من حق احد مهما كان انتماؤه او المسؤولية التي يتولاها، في ان يخرق القانون، او يكسب مالمس من حقه، او يتميز على الاخرين . فالجميع، بغض النظر عن الجنس او الانتماء او العقيدة، حق الرقابة والمسائلة .

- آليات تعزيز ثقافة الحوار :

لتعزيز ثقافة الحوار يستدعي ان تضطلع الجامعات باعتماد العديد من الوسائل والاساليب . فآليات العمل الجماعي التي يحكم اعتمادها في بث واشاعة ثقافة الحوار ، تجد طريقها الى القطاعات الاجتماعية المختلفة من خلال الطلبة الى عوائلهم وزملائهم في الريف ولقاءات الاساتذة والباحثين في المؤتمرات والندوات ومؤسسات المجتمع المدني . وحيثما المستقبلين من (نساء، شباب، متقنين، عمال ، فلاحين ..)

ويتم كل ذلك من خلال :

- التأكيد على ان الحوار الهادئ واحترام الرأي الآخر، يسهم في نبذ الجدل والتعصب ، ويساعد على تلاقي الافكار بين الفرقاء لتصب جميعا في خدمة الوطن .
- الدعوة الى عزيز نقاط الالتقاء والقواسم المشتركة بين الانتماءات المتعددة والهويات الفرعية وهو مايعمق الحس الوطني، ويشجع الجميع للعمل بهمة اكبر تحت الخيمة الاكبر (العراق).

- من خلال المحاضرات في الجامعة والنشاطات اللاصفية كافة، تعتمد الجامعة الى تعزيز حصانة الطالب، والعمل على بلورة شخصيته ليكون اكثر قدرة على فهم اهداف الدعاية المضادة، وتأثيرات بعض محطات البث الاجنبي التي غايتها تشويه الشخصية الوطنية(خصوصاً قطاعات الشباب والمرأة) وتستطيع عقل الم □ والترويج الى تضخيم "الانا" والتقليل م اهمية " الآخر " او تسفيهه، وبالتالي اشاعة وترجيح الجدل والتعصب ومجانية الحوار .
- تربية الطالب في أروقة الجامعة على قيم المحبة والتآزر ، مهما اختلفت المشارب ، والتركيز على ان العراق وطن الجميع ليس اليوم، بل وعبر آلا من السنين خلت . وان بناء الوطن اليوم بحاجة الى الحوار وليس الاحتراب، وان يقدم الجميع افضل ما يوسعهم وكما فعل الاباء والاجداد عندما بنوا حضاراته وحملوه قبلة الدنيا اكثر من مرة .
- الارتقاء بوعي عموم المواطنين (من خلال المؤتمرات والندوات والمقابلات الاذاعية والتلفازية لاساتذة الجامعات) لجعل الديمقراطية منهجا للسلوك اليومي، وفي مقدمة اساسيات ذلك المنهج اعتماد الحوار والرقابة^{١٨} .
- تعاون الجامعات مع المؤسسات الرسمية ومؤسسات المجتمع المدني لاعداد جيل المستقبل (الشباب) ورعاية المثقف وتعزيز دوره في عملية التغيير الاجتماعي) والترويج لشعار (العلم والاخلاق) ضد . وان الجميع مسؤول عن بناء الوطن . وان يتم ذلك بالتعاون والحوار الهادئ . وليس الجدل والاختلاف . او فرض الاجندات الخاصة لهذا الطيف او ذاك . وبالتالي تضحي الجامعات بحق مركز اشعاع للمشروع ببناء الوطن الموحد المزدهر .

ازاء كل مانقدم تضطلع الجامعات مراكز بحوثها بدور فاعل في التأثير بصناع القرار والرأي العام من خلال الاستشارات والمحاضرات والمؤتمرات والحلقات النقاشية والمعارض . فضلا عن مساهمة الاساتذة والباحثين من خلال اللقاءات والمناظرات في وسائل الاعلام وفي الندوات التي تعقدها مؤسسات المجتمع المدني

¹⁸ انظر: بحثنا : دور التعليم العالي في ارساء رؤية وطنية .. المصدر السابق ، ص ٥٨ .
¹⁹ في الاستمالتين: ينظر بحثنا: الاستمالة في الاعلام الصهيوني: مجلة قضايا سياسية (بغداد) العدد الاول شوال ١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠ م ص ١٠٨ - ١٠٩ .

ويبلغ ذلك ذروته (اعلى درجاته) بتكرار الرسائل الاعلامية الداعية لتعزيز ثقافة الحوار بين قطاعات المرأة/الشباب/جمعيات ونقابات العمال/الفلاحين....الخ

ناهيك عن دور الاساتذة الجامعات والباحثين باقامة اعظم الشرائع مع الطلبة (كامتداد طبيعي داخل العوائل والتجمعات الاجتماعية في الريف والمدنية) بمدخلات ومخرجات ثقافة الحوار من خلال اساليب التكرار والاغراق الاعلامي واساليب الاقتناع اضافة الى اساليب الاستمالة من خلال محاكاة العقل (الاستمالة rashinal appels) ومحاكاة العاطفة (الاستمالة العاطفية emoshenal appels) بمخاطبة الغرائز واثارة الهمم لتحقيق استجاباتهم واثارة اهتماماتهم بثقافة الحوار وجعلها ديار عملهم فالدعوة الى رص الصف الوطني ولم الشعب لضمان استقلال وحدة العراق ارضا وشعبا بعد ان دنسته اقدام المحتلين . واشاعة ثقافة الحوار ليسهم الجميع ومهما اختلفت المشارب متاهبين وبحزم عند خط الشروع . وكل منهم يؤازر الآخر ويقدم افضل مايوسعه لبناء مستقبل مشرق للعراق . فتستدعي اساليب الاستمالة ان تقوم الجامعات ومراكز البحوث التذكير بدروس التاريخ . فتتم مخاطبة جميع الاطياف ان بلاد ما بين النهرين بفيت موحدة رغم محاولات الغزاة منذ ايام سرجون الاكدي م. وحتى اليوم كما تتم محاكاة جذوة الحمية عند العراقي . واثارة الاعتداد بالنفس والحماسة عندما تصدى اجداده الى ابغى الطغاة على مر التاريخ .

- خاتمة

تبين لنا من خلال كل ما تقدم ان اثار الهجمة الاستعمارية على بلدان العالم الثالث من جهة ومجمل عمليات التنشئة الاجتماعية في تلك البلدان من جهة اخرى اسهما الى حد كبير في سيادة الفلسفة الاحادية في الرأي والعقيدة ومصادرت حرية الرأي في اطار الارهاب النفسي والفكري واعتماد سياسة (كم الافواه) مما ادى الى خلق الشخصية السلبية (المتلفية) التي ترفض الآخر ولا تؤمن بالحوار .

ان عمليات التغير الديمقراطي في بلدان عالم الجنوب (ومنها وطننا خصوصا بعد التغيرات التي حدثت عام) تستدعي بالاساس تجاوز الفلسفة الاحادية والتأسيس لثقافة حوار تسهم في تلاقي الافكار بين الاطياف الاجتماعية (تدعو للتسامح واحترام الآخر والتعاون معه عبر تقاليد راسخة من اجل بناء المستقبل .

²⁰ انظر : بحثنا : دور التعليم العالي م . س . ذ . ص ٨٥ .

كما تبين لنا، ان للجامعات دورا فاعلا في ترسيخ ثقافة الحوار وذلك من خلال دور الاستاذ الجامعي والباحث وعبر الطلاب الى كل اطياف المجتمع في الريف والمدينة من جهة. ودورهما (الاستاذ والباحث) في وسائل الاتصال المقروءة والمسموعة والمرئية فضلا عن مؤسسات المجتمع المدني من خلال المؤتمرات والندوات..... وتتم من خلال ذلك الدور عملية نقل القيم الممارسات لزيادة وعي المواطنين بكافة اطيافهم والتأسيس ثقافة الحوار التي يكون فيها "الانا" "الاخر" ولما كان المشرب والانتماء والعقيدة مسؤولان عن المشاركة في عملية التغيير واعادة البناء والعبو بالوطن الى شاطئ الامان. ولتعزيز ثقافة الحوار تضطلع الجامعات باعتماد العديد من الوسائل والاساليب واليات العمل الجماعي. والتي تسهم جميعا في تلاقح الافكار وتعمق الحس الوطني لتشجيع الجميع للعمل بهمة اكبر تحت الخيمة الاكبر (العراق).